الرد على منكر عذاب القبر

للدكتور

جيب الله حسن أحمد أستاذ العقيدة المساعد بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سلك طريقه إلى يوم الدين.

أما بعد

فهذا البحث عبارة عن تقرير علمى عن كتابين بعنوان

١ـ عذاب القبر افتراء على الله ورسوله.

٢ـ عذاب القبر إفك وضلال مبين للكاتب محمد عبد المنعم مراد.

قدمته للجنة العقيدة والفلسفة بمجمع البحوث الإسلامية بناء على تكليفها لى، والكاتب واضح فى موقفه من عذاب القبر من عنوان كتابيه، وهو الإنكار، والمعروف عن منكرى عذاب القبر فى العصور الماضية أنهم كانوا يستندون فى إنكارهم إلى ما جاء فى عذاب القبر مخالفًا للمألوف، ويتوهمون أن هذه أدلة عقلية، وهم يذكروننا فى ذلك بمنكرى البعث حينما يقولون: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾[1].

لكن من أنكر عذاب القبر اليوم يضيف إلى ما ورد عن السابقين من مخالفة المألوف الذى ظنوه مخالفة للمعقول أن القرآن والسنة لم يثبتا عذاب القبر ولا الحياة فيه أيًا كان نوع الحياة فيه عذابًا أم نعيمًا، بل إن القرآن ينفى عذاب القبر، ويصل إلى نتيجته التى يرددها وهى أن القول بعذاب القبر افتراء على الله ورسوله، وإفك وضلال مبين.

وقد اعتمد الكاتب فى إثبات دعواه على آيات من القرآن الكريم، وعلى فهمه الشخصى لها وظن أن ذلك دلالة قطعية على نفى عذاب

(١) سورة ق الآية ٣.

القبر، وتجاهل نصوص السنةتمامًا، مهما بلغت درجة صحتها، بل عد ما جاء في السنة عن عذاب القبر منسوبًا إلى الرسول، كذبًا وهو منه برى.

وقد تتبعت كل ما جاء في الكتابين من استدلالات، وعرضتها عرضًا موضوعيًا، وعزوت كل استدلال نقلته إلى موضعه من كتابيه، ولم انشغل بهجومه بالعبارات الطنانة واللاذعة على مثبت عذاب القبر، فالبحث العلمي لا يعرف المهاترات، بل ناقشته مناقشة علمية موضوعية، ولن أسبق الأحداث إلى ذكر النتائج، فذلك ما سيتضح بعد قراءة التقرير، وأخيراً أرجو العلي القدير أن يهدينا جميعًا إلى الحق ويثبتنا عليه ـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د / جيب الله حسن أحمد

تقرير علمى عن كتابى

١ـ عذاب القبر افتراء على الله ورسوله

٢ـ عذاب القبر إفك وضلال مبين

تأليف: محمد عبد المنعم مراد ويتضمن ما يلى:

أولاً: وصف الكتابين

ثانيًا: الأسس والمناهج التى بنى الكاتب عليها مذهبه

ثالثًا: عرض أدلة الكاتب على عدم وجود عذاب القبر والرد عليها.

رابعًا: عرض مناقشة الكاتب لبعض أدلة المثبتين لعذاب القبر والرد عليه.

أولاً: وصف الكتابين:

أـ وصف الكتاب الأول: «عذاب القبر افتراء على الله ورسوله».

هو الكتاب الثالث ضمن سلسلة بعنوان «من هدى القرآن الكريم» للمؤلف ولم يذكر فى الكتاب دار الطبع أو النشر ولا تاريخه إلا أنه تحت رقم إيداع ٣٢١٢/ ٢٠٠٠.

ويتكون الكتاب من ١٤٤ صفحة من المقطع الصغير تتضمن مقدمة وأربعة عشر مبحثا وخاتمة.

وفى المقدمة يذكر الدافع الذى جعله يكتب فى هذا الموضوع، وهو أنه يريد أن ينفى عن كتاب الله ما ليس منه وأن يطهر العقيدة الواضحة الجلية مما ليس منها باعتبار ذلك واجبًا إسلاميًا عليه وعلى كل مسلم وذلك بعد أن كثرت فى الآونة الأخيرة الكتب التى تتحدث عن عذاب القبر وأنه وارد فى القرآن الكريم «المقدمة ص ٣».

ويسوق فى ثلاثة عشر مبحثاً ما يراه من أدلة قرآنية وعقلية تنفى وجود عذاب القبر وهذه المباحث من ص ٥ إلى ص ٦٨.

وفى المبحث الرابع عشر الذى يستغرق أكثر من نصف الكتاب «من ص ٦٩ إلى ص ١٣٦ يناقش بعض الأدلة القرآنية التى استدل بها المثبتون لعذاب القبر.

وفى الخاتمة يذكِّر بهدفه الأساسى من الكتاب وهو الذى ذكره فى المقدمة وهو أنه ينفى عن كتاب الله ما ليس منه، ويقرر أن عذاب القبر لا يستحق الجدل لأن أمره هين مستعرضا عناوين مباحث الكتاب «ص ١٣٧ ـ ١٤١».

ب ـ وصف الكتاب الثانى: وهو كتاب « عذاب القبر إفك وضلال مبين»

وهو الكتاب الخامس من سلسلة «من هدى القرآن الكريم» للمؤلف وطبع بمطابع آمون توزيع مؤسسة دار الشعب بالقاهرة بدون تاريخ ويأخذ رقم إيداع ١٤٩٩٥/ ٢٠٠١. والكتاب يقع فى ٩٦ صفحة من المقطع الصغير ويتضمن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

وفى المقدمة يؤكد على عدم وجود لعذاب القبر وأن الزنادقة والحاقدين من أهل الكتاب والمنافقين وأعداء الإسلام دسوه على الإسلام ليصرفوا الناس عن البعث والحساب والجزاء يوم القيامة.

ويذكر دافعه من تأليف الكتاب وهو أن العامة يأخذون دينهم من علمائهم، وأن بعض العلماء يأخذ من كتب التراث دون تمييز بين الغث والثمين، ويذكرهم بالمسئولية أمام الله عن أنفسهم وعمن يضلونهم من الناس، ويدعو أولياء الأمر فى الدين إلى لفت نظر هؤلاء العلماء إلى ذلك، ويكرر بإجمال بعض أدلته التى يرى أنها قاطعة على عدم وجود عذاب القبر وأنه ليس من الإيمان فى شىء، ويذكر أن الاستدلال على الأحكام الشرعية والاعتقادية لابد أن يكون من نصوص قطعية الثبوت والدلالة.

وفى نهاية المقدمة يذكر ما تضمنه كتابه من فصول، وخاتمة (ص٣ـ٩).

والفصل الأول تحت عنوان: «سنة الله فى خلقه»، ويتحدث فيه عن الدنيا ـ دار البلاء ـ وعن الآخرة ـ دار الجزاء ـ لينتهى إلى أنه ليس هناك دار ثالثة تسمى حياة البرزخ (ص١٣ ـ ٢٥) والفصل الثانى شرح موجز لبعض مباحث كتاب: (عذاب القبر افترء على الله ورسوله) وهى المباحث من الأول إلى الثامن. (ص ٢٩ ـ ٤٧).

والفصل الثالث بعنوان سؤال وجواب.

يذكر فيه أن إحدى الصحف المصرية واسعة الانتشار نشرت رسالة بعث بها أحد القراء يستفسر فيها عن عذاب القبر، زاعمًا أن ما ينسب إلى الرسول ﷺ فى هذا الشأن معارض للقرآن الكريم ومناقض للعقل، مع تعقيب على هذه الرسالة لأحد أساتذة جامعة الأزهر بعنوان: «هذه الأحاديث لا تعارض القرآن والعقل»، ليعقب الكاتب على هذا الجواب بما لا يخرج عما ذكره فى الكتاب السابق.

وفى خاتمة الكتاب يذكر محتويات الكتاب، كما يذكر تسع مسائل ـ غاية فى الأهمية من وجهة نظره ـ أظهر ها الفصل الثالث الذى عقب فيه على جواب صاحب الرسالة المنشورة.

وهذه المسائل هى:

١ـ أن الإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[١]، وليس من الإيمان الإيمان بعذاب القبر.

٢ـ أن الروح من أمر الله، لم يعرف الله نبيه شيئًا عنها، فكيف يخوض غيره فيها.

(١) يلاحظ أنه لم يذكر القدر من أركان الإيمان

٣ـ أن الاستدلال على الأحكام لابد أن يكون بنص قطعى الثبوت والدلالة.

٤ـ أن الحساب يوم القيامة، وليس فى القبر.

٥ـ موقف الإسلام من العقل والعلم واحترامه لهما، وليؤيد وجهة نظره فى إنكار عذاب القبر ينقل بعض النصوص التى تتحدث عن علاقة الإسلام بالعقل والعلم، من كتاب (الإسلام بين العلم والمدنية) للإمام محمد عبده، ومن (كتاب الدين والحضارة) للدكتور محمود حمدى زقزوق، وكتاب (الإسلام والعقل) للدكتور عبد الحليم محمود.

٦ـ الإيمان باليوم الآخر يتنافى مع عذاب القبر.

٧ـ الإنسان يشعر بالعذاب عن طريق الجلد.

٨ـ العقوبة فى الدنيا والآخرة.

٩ـ العذاب فى نار جهنم، ويعيد ما ذكره مراراً من تفاصيل العذاب فى جهنم كما جاءت فى القرآن الكريم (ص ٦٣ ـ ٦٨).

والكتاب جملة وتفصيلاً لا يخرج عما جاء فى الكتاب الأول إلا بعض التوضيحات والمقدمات.

ثانياً: الأسس والمناهج التى بنى عليها مذهبه:

وهذه الأسس هى:

١ـ فهمه للقبر، بأنه ما يضم جسد الميت من الأرض.

٢ـ فهمه للموت بأنه فقد الحياة بما تحمله من حس وشعور وعقل.

٣ـ فهمه للجزاء بعد الدنيا بأنه لا يتم إلا بعد البعث.

٤ـ عدم الاعتراف بكل ما ثبت فى السنة ـ مهما كانت صحته ـ بزعم أن هذا الأمر اعتقادى، لا يترك للسنة، بل يأتى فى القرآن، وعلى ذلك فإن كل ما جاء فى السنة فهو مدسوس على رسول الله ﷺ وعلى الإسلام.

بالإضافة إلى المناهج التى يدعى أنه طبقها ونتج عن تطبيقها عدم ثبوت عذاب القبر، وهذه المناهج هى:

١ـ رد ما يناقض العقل ورفضه.

٢ـ تفسير القرآن بالقرآن.

٣ـ الاعتماد فى الاستدلال على الأحكام الاعتقادية على النص قطعى الثبوت والدلالة.

ثالثا: أدلته على عدم ثبوت عذاب القبر:

الدليل الأول: أن عذاب القبر لو كان له حقيقة وهو أمر اعتقادى لكان ثابتًا لدى الشرائع السابقة، ولو كان ثابتًا فيها لورد فى القرآن الكريم؛ لأنه مصدق لما بين يديه من الكتاب.

ويذكر مثالاً على ما جاء فى القرآن عن قصص السابقين، ولم يتضمن حديثًا عن عذاب القبر، بل لم يكن يعرف عن القبر شىء، ما جاء فى قصة ابنى آدم التى وردت فى سورة المائدة بدءاً من قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ . . .﴾(١).

فالمقتول كان يعلم أن النار جزاء الظالمين، والقاتل لم يكن يعلم عن القبر شيئًا، إلى أن بعث الله له الغراب، فمن باب أولى لا يعلم عذاب القبر (صـ٦ من كتابه عذاب القبر افتراء على الله ورسوله).

والجواب أن تصديق الكتاب الحكيم لما بين يديه من الكتاب وهيمنته عليه لا يعنى أن يذكر تفاصيل كل ما جاء فيها، ويكفى أن القرآن الكريم تضمن ما جاء من أصول العقائد وأصول العبادات، والفضائل والرذائل مما ذكر فى الكتب السابقة، كما جاء عن صحف إبراهيم وموسى بأنها

---

(١) سورة المائدة الآية من ٢٧ ـ ٣١.

تضمنت المسؤولية الفردية والجزاء في قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١].

وما جاء فى قصة ابنى آدم ليس دليلاً على عدم ثبوت عذاب القبر، فإن الآية ذكرت على لسان القاتل: «فتكون من أصحاب النار» وما كان اعتقاد القاتل ـ وهو مجرم ـ حجة فى الإثبات والنفى، والهدف من ذكر القصة ما عليه البشر من التنازع والتحاسد الذى يفضى إلى القتل.

وعذاب القبر مندرج فى عذاب النار، والخلاصة أن الآية كما لم تثبت عذاب القبر لا تنفيه.

الدليل الثانى: استدل بالآيات التى تصرح بأن الكفار يوم البعث يصرحون بأنهم لم يلبثوا فى الأرض إلا وقتًا قليلاً ـ تنوع التعبير عنه فى الآيات ـ كقوله تعالى ـ: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾[٢].

فلو كان الميت معذبًا فى قبره لما شعر بأنه مكث وقتًا قصيرًا، بل لشعر أنه لبث آماد السنين، فالمعذب يشعر بطول الزمن لا بقصره (كتاب عذاب القبر إفك وضلال مبين ص ـ ٣٠)، ويتوهم أن هذه الآيات قطعية الدلالة فى نفى عذاب القبر.

الجواب:

أن المسؤول عنه قد يكون مكثهم فى الدنيا، وهو الأرجح، رجحه من المفسرين الرازى ٨/ ٣٧٢، وابن كثير ٢/ ٣٦١، والزمخشرى ٢/ ٢٣٩، وصاحب المنار ١١/ ٣١٧، والقاسمى ١٢/ ٤٤٢.

---

(١) سورة النجم الآيات ٣٦ ـ ٥٤.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٣.

وربما توهم أن في قوله: ـ تعالى ـ «في الأرض» تنص على أن المسئول عنه فترة ما بين الموت إلى البعث بناءً على أن في تفيد الظرفية، لكن هذا غير لازم، فالله ـ تعالى ـ قال: «قل سيروا في الأرض»، ومعلوم أن السير يكون عليها وليس في باطنها، مع أن الأرجح أن يكون المسئول عنه فترة التكليف التي كانوا يكابرون ويعاندون فيها.

وإن سلم ما فهمه الكاتب فلا ينفي ما ثبت من عذاب القبر، ولكن يفهم على وجه أن الكافر عندما يرى من أهوال يوم القيامة يخيل إليه أنه قضى وقتًا قصيراً بالنسبة لما بعيشه في هذا اليوم، كما يحس كل إنسان بقصر كل وقت منصرم بالإضافة لوقته الحالي.

ومن المفسرين من يرى أن الكفار يعنون ما بين النفختين، وبه فسر قوله ـ تعالى ـ : ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[1]. وينسب هذا الرأي لابن عباس[2].

الدليل الثالث:

يستدل بالآيات التي تنفي عن الموتى السمع، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[3].

وغيرها من الآيات، ويعتبر هذه الآيات صريحة قطعية على ما يدعي. (عذاب القبر إفك وضلال مبين صـ ٣١، ٣٢).

والجواب: أن هذا تشبيه حال الكافر في عدم انتفاعه بما يسمع بحال الميت، كما شبهه في آيات أخرى بالأنعام، مع أنها تسمع، وإذا كان

(١) سورة يس الآية ٥٢.

(٢) القرطبي ٦/ ٤٢؛ ٨٥.

(٣) النمل: ٨٠.

يعترف هو نفسه بأن هناك فى الدنيا من أصحاب المواهب من يسمع بلا أذن (عذاب القبر افتراء على الله ورسوله صـ١٨). فإذا كانت بعض المرئيات والمسموعات تصل للإنسان بدون الآلة المعتادة فقد تصل مثلها وأكثر بدون آلة البدن بكامله.

الدليل الرابع:

ينفى أن يكون قد ورد فى القرآن الكريم شيء عن الحياة البرزخية على الإطلاق (عذاب القبر افتراء على الله ورسوله ص ١٤) مفسراً قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]. بأنه «حائل يحول بين رجوع الميت إلى الحياة مرة ثانية إلى يوم البعث».

الجواب:

ادعاؤه عدم ورود شيء عن الحياة البرزخية على الإطلاق يكذبه صريح قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].وقوله ـ تعالى :ـ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[3]. وقوله ـ تعالى: «ولكن لا تشعرون» رد قاطع على الكاتب وأمثاله ممن يحكمون مداركهم على الحقيقة المطلقة، فهم يرون أن ما لا يشعرون به لا حقيقة له، والقرآن الكريم يصرح بحياة حقيقية بعد الموت لا يشعر بها الأحياء فى الدنيا.

---

(١) سورة المؤمنون الآية رقم ١٠٠.

(٢) سورة آل عمران الآيات من ١٦٩ـ ١٧١.

(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٥٤.

الدليل الخامس:

يستدل الكاتب على إنكار عذاب القبر بأن هناك أممًا لم يقبروا، كالأمم التى أهلكها الله ـ تعالى ـ بالغرق، وكمن يحرق وتذرى جثته فى الهواء، والنهر الجارى، وكمدينتى هيروشيما ونجازاكى اليابانيتين (عذاب القبر افتراء على الله ورسوله صـ ١٥ ـ ١٦).

الجواب:

إضافة العذاب إلى القبر من باب التغليب، وإلا فالعذاب يشمل كل مستحق له أينما كان جسده متفرقاً أو مجتمعًا، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾[(١)]. ويقول: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[(٢)]. فهل لا يبعث بناء على فهمه إلا من هم في داخل القبور؟! والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[(٣)]. فهل يخاطب ـ بناء على فهمه ـ بعض الناس دون بعض؟.

الدليل السادس:

يرى الكاتب أن القرآن الكريم ذكر سؤال الملائكة الكفار فى الآخرة ولم يذكر سؤال الملكين فى القبر، ويحكى القرآن عن الكافرين أنهم كذبوا بالبعث ولم يكذبوا بعذاب القبر، مما يدل على أن أحداً لم يخبرهم عنه، وإلا لكذبوا به، وأن القرآن الكريم ذكر جهنم وألوان العذاب فيها، وذكر اليوم الآخر ومواقفه، ولم يذكر شيئًا عن عذاب القبر، ويستفيض فى ذكر الآيات التى تتحدث عن مواقف القيامة (عذاب القبر افتراء على الله

---

(١) سورة الحج الآية ٧.

(٢) سورة يس: الآية: ٥١.

(٣) سورة التكاثر الآية: ١ـ٢.

ورسوله صـ ٢٥ ـ ٦٨)، ويؤكد الكاتب أن اليوم الآخر يبدأ بقيام الساعة، وفيه البعث والحساب والجزاء، والدنيا تنتهى بقيام الساعة، (صـ ١٧ من كتاب: عذاب القبر إفك وضلال مبين)، وللدنيا عذابها وللآخرة عذابها، فالناس يعذبون وهم أحياء فى الدنيا وفى الآخرة، فلماذا يعذبون فى القبر وهم أموات؟؟ (عذاب القبر افتراء على الله ورسوله صـ ٧٧).

الجواب:

أن ما ذكره مما ورد فى القرآن الكريم من سؤال الملائكة الكفار يوم القيامة، وتفاصيل عذاب الآخرة لا ينفى ما قبل البعث من سؤال وعذاب، بدليل أن القرآن الكريم يذكر لنا عذاب الملائكة وسؤالهم للكفار وهم فى غمرات الموت، فيقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[1]. وقوله ـ تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[2].

وهذا يدل على أن الجزاء يبدأ بغمرات الموت ولا ينقطع حتى يبدأ بعد البعث، ولو كان الجزاء يبدأ بعد البعث لما قال الملائكة للكفار وهم فى غمرات الموت: «اليوم» فهذا يدل على أن الجزاء يبدأ بالموت (انظر: الروح لابن القيم صـ ٧٥)، حيث استدل بها على عذاب القبر، فهذا النص وأمثاله حديث مجمل عن عذاب القبر، ورد فى القرآن، وتولى النبى ﷺ بيانه، كما قال ربه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٩٣.

(٢) سورة محمد الآية: ٢٧.

(٣) سورة النحل الآية: رقم ٤٤.

والكلام فى عـذاب القبـر بعد ثبـوته بالقـرآن والسنة المتواترة لا يهـون من عـذاب الآخرة، كـيف وهو مقـدمـة له، وسابق علـيه، وليس الذى يثـبت عذاب القبر هو الذى ينكر الآخرة أو يلزم منه ذلك كما توهم الكاتب، بل إن المنكر ليوم القيـامة منكر لأى مظهر للحياة بعـد الموت سواء أكان ذلك فى القيامة أم بعـد الموت، فليس عنده إلا الحياة الدنيا: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[1]. وحديث القـرآن الكريـم المفصل عن يوم القيـامة لأن الجزاء على أتمه وأكمله يكون فيه، ولذا قال الله ـ تعالى: يقول: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[2].

رابعًا: مناقشة الكاتب المستدلين على عذاب القبر بآيات القرآن الكريم، والرد عليه:

ولهذا الغـرض يعقد المبحث الرابع عـشر من كتاب: (عـذاب القبر أفتراء على الله ورسوله) والفصل الثالث من كتاب: (عذاب القبر إفك وضلال مبين)

الآية الأولى، وهى قولـه ـ تعالى ـ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[3].، ويذكر بـعض ما نقله ابن جرير الطبرى فى تفسيـره من أقوال فى معنى قوله ـ تعالى ـ «النار يعـرضـون عليـها غـدوًا وعـشيًا» ومن بين هـذه الأقوال مـا قـيل من أن أرواحهم جـعلت فى أجواف طير سود ـ بـعد غرقهم ـ فـهى تعرض على النار كل يوم مرتين، ويذكر من قال بهذا المعنى.

(١) سورة الجاثية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران الآية : رقم ١٨٥.

(٣) سورة غافر الآية: ٤٦.

ورأى الفريق الثانى يقول عنه الطبرى: «يعنى بذلك أنهم يعرضون على منازلهم فى النار تعذيبًا لهم غدواً وعشيًا»(١).

والفـرق بين المعـنيين أن المعنى الأول يذكـر أن أرواحـهـم جـعلت فى أجواف طير، والثانى يذكر أنهم يعرضون دون أن يخص أرواحهم، وليس الفرق بين المعنيين أن أحدهما يتحدث عن البرزخ والثانى عن الآخرة، كما توهم الكاتب.

وبناء على ذلك فالإمام الطبرى لا يقطع بأى من الوجـهتين لعدم ثبوت خـبر يوجب الحـجة بأن ذلك المعنـى به (صـ ٩١) أنه لا قاطع عنده بأحـد المعنيين لعدم وجـود خبر، لكنه يرجح ظاهر النص، ولا يفهم من ترجـيحه ظاهر النص أنه يرجح أن يكون ذلك فى الآخرة، بل إن ظاهر النص يرجح أن يكون فى البرزخ.

ثم يذكر تفـسير الرازى للآية، ومـا نقله من احتجـاج علماء أهل السنة بالآية على عذاب القبر، وتضعيفه لهذا الاحتجاج من وجهين:

الأول: أن ذلك العـذاب يجب أن يكـون دائمًـا غـيـر منقطع، وقـولـه ـ تعالى ـ: ﴿يعرضون عليها غدواً وعشيًا﴾ يقتضى ألا يحصل ذلك العذاب إلا فى هذين الوقتين، فثبت أن هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر.

الثانى: أن الغدوة والعـشية إنما يحصلان فى الدنيا، أمـا فى القبر فلا وجود لهـما، فثبت بهذين الوجهين أنه لا يمكـن حمل هذه الآية على عذاب القبر.

(١) تفسير الطبرى جـ ١٢ ص ٩٠.

ويجاب عن الأول أن وجود دوام العذاب وعدم انقطاعه يكون فى الآخرة حيث يكون الجزاء مستوفى، أو أن المراد بلفظى «غدواً وعشياً» الدوام وعدم الانقطاع، كما فى تفسير القاسمى (جـ ١٤ ص ١٧١٥)، وبمثل هذا يجاب عن الثانى، ويمكن أن يجاب عنه أيضا بأنهم مادامـوا يعرضون قبل يوم القيامة فما زال الغدو والعشى موجودين وإن لم يكونوا هم من أهل الدنيا.

على أن الفخر الرازى استدل بالآية على إثبات عذاب القبر فى كتابه (أصول الدين صـ ١١٩ ط/ الكليات الأزهرية).

ثم يذكر ما جاء فى تفسير ابن كثير حول هذه الآية والاستدلال بها على عذاب القبر.

وبعد أن ذكر الحافظ ابن كثير أن «هذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور، وهى قوله ـ تعالى ـ: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾، وجد تعارضًا ظاهراً ـ لا حقيقيًا ـ بين ظاهر الآية وحديث صحيح ورد فى مسند الإمام أحمد وفى صحيح مسلم منّ طرق متعددة، وفى صحيح البخارى مع اختلاف فى اللفظ، فظاهر الآية وهى مكية يثبت عذاب القبر، وظاهر الحديث يثبت عذاب القبر متأخرا فى المدينة بعد أن أوحى إلى النبى ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير فى الجمع بين النصين: «والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشيًا فى البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها فى القبور؛ إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فأما حصول ذلك للجسد فى البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة فى الأحاديث المرضية الآتى ذكرها، وقد يقال: إن الآية إنما دلت على

عـذاب الكفـار فى البرزخ، ولا يلزم مـن ذلك أن يعذب المؤمـن فى قبـره بذنب، ومما يدل على ذلك مـا رواه الإمـام أحـمد ـ بسنده، عـن عائشـة ـ رضى الله عنهـا ـ أن رسول الله ﷺ دخل عـليهـا وعندها امـرأة من اليهـود وهى تقـول: أشعرت أنكـم تفتنون فى قـبوركم؟ فـارتاع رسول الله ﷺ ـ وقال: إنما يفتن يهود، قالت عائشـة ـ رضى الله عنها ـ :فلبثنا ليالى، ثم قال رسول الله ﷺ: «إلا إنكم تفتنون فى القبور» وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فكان رسول الله ﷺ ـ بعد يستعيذ من عذاب القبر»، وهكذا رواه مسلم..

وقد يقال: إن هذه الآية دلت علـى عذاب الأرواح فى البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يتصل فى الأجسـاد فى قبورهـا، فلما أوحى إلى النبى ﷺ فى ذلك بخصوصه استعاذ منه، والله سبحانه وتعالى أعلم[1]» انتهى.

ويتـضح من هذا أن الحـافظ ابن كـثيـر جـمع بـين ظاهر الآية وظاهر الحديث بثلاثة وجوه:

الأول: أن الآية قـد تفـيد عـرض أرواح آل فـرعـون فـقط ـ ولا يلزم منه عذاب الأجساد والحديث يفيد العذاب.

الثـــانى: أن الآية دلت على عـذاب الكفار فى البـرزخ، والحديث دل على فتنة المؤمن فى القبر.

الثـالث: أن الآية دلت على عذاب الأرواح فى البـرزخ والحديث دل على اتصال العذاب إلى الأجساد.

وربما كانت طريقـة الجمع الثانيـة أرجح؛ فإن الأحاديث متواترة المعنى على استـعاذة النبى ﷺ من عـذاب القبر وإخـباره عن عذاب القـبر، وهو

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٧٤.

موجه للمسلمين من أتباعه، ولو كان خاصاً بالكافرين لما كان هناك وجه للاستعاذة من قبل النبى ﷺ ـ واتباعه منه.

وعلى كل حال فالحافظ ابن كثير سلك الطريق الأصولى فى الجمع بين النصوص التى ظاهرها التعارض، فإنه لا تعارض حقيقى بين آية وحديث صحيح كما يذكر الأستاذ عبد الوهاب خلاف فى كتابه (علم أصول الفقه صـ ٢٧٢ ط٤: ١٣٦٩).

وبناء على ما تقدم فإن الآية إن دلت فإنما تدل على عرض آل فرعون على النار ـ عرض تعذيب ـ لأن قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ جاء بدلاً من قوله تعالى: «سوء العذاب»، وعلى عذاب القبر ـ أى العذاب بعد الموت مباشرة حتى قيام الساعة، والقبر يستخدم للتغليب ـ ولم ينص عليه بخصوصه من قبل النبى ﷺ لأنه داخل ضمن الجزاء الأخروى ومقدمة من مقدماته، ولم يوح إلى النبى ﷺ أن المؤمن يفتن فى قبره ويعذب حتى اللحظة التى كذب فيها قول اليهودية ـ وقول اليهودية هذا دليل على أن بقايا دينهم التى بأيديهم تحدثهم عن عذاب القبر ـ ولما أوحى إلى النبى ﷺ أن أمته تفتن فى قبورها أخبر واستعاذ، فلم نأخذ هذا الخبر من اليهودية كما يزعم الكاتب (صـ ٧٨)، ولا النبى ﷺ أخذ هذا الخبر من اليهودية فهو كذبه لما نقل إليه عن اليهودية، إلى أن أوحى إليه.

يقول الكاتب: «إن الكافرين جميعا بدون استثناء ـ يعرضون على النار يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾[1].

والجواب: أن العرض على النار يوم القيامة لا ينفى العرض عليها قبل يوم القيامة، فقد يتعدد ذكر العرض بتعدده، وهو فى القيامة نفسها متعدد،

---

(١) الأحقاف: ٢٠.

كما تصرح الآيات، والعرض بأى معنى من المعانى هو لون من العذاب، وسبق أن ذكرت أن «النار» بدل من قوله تعالى: «سوء العذاب»، فالعرض سوء العذاب، ويوم القيامة أشد العذاب.

ويقول الكاتب: العرض على الناس ليس من عذاب القبر، روى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن أرواح آل فرعون فى أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها، فأرواح آل فرعون فى أجواف الطير، وليس لآل فرعون قبور» (صـ٧٩).

الجواب:

القبر كل ما يضم الجسد، سواء أكان اللحد أم البحر أو بطون السباع أم أجواف الأسماك، ونقل الكاتب ما جاء عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ كاف فى الاعتراف بالعذاب قبل يوم القيامة، مما يطلق عليه الحياة البرزخية، ومن هنا قال بعض العلماء: كابن حزم (الأصول والفروع ١/ ٢٣٣ط ١: ١٩٧٨):إن عذاب القبر بالروح، وإن كان الراجح أن عذاب القبر بالروح والجسد، ولا يعنى هذا أن تكون النار على سطح الأرض أو فى باطنها، كما يقول الكاتب: «النار لا توجد على الأوض، وإنما يأتى بها الله يوم القيامة، ويقول الله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾(٢). لا ينفى وجودها قبل يوم القيامة، فقد تواترت الأخبار بذلك.

وأما قوله: «الإنسان لا يتذكر عمله بعد موته، وإنما يتذكر الإنسان ما سعى يوم القيامة، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾(٣).(ص: ٨٠) فهذا الاستدلال وأمثاله من التفاصيل التى جاءت

---

(١) الفجر: ٢٣. (٢) الشعراء: ٩١. (٣) النازعات: ٣٥.

فى القرآن الكريم عن يوم القيامة وما يحدث فيه لا ينفى ما ثبت عن طريق الأخبار المتواترة عن رسول الله ﷺ عن حياة البرزخ.

وقول الكاتب: «لا يمكن للطير أن ينفذ من أقطار الأرض، وقوله: «ماذا يحدث لو هلكت الطير التى» تحمل أرواح آل فرعون فى أجوافها». (ص: ٨٠).

والجواب:

أن هذا الذى ورد فى الأخبار نوع من الجزاء فى دار الجزاء، وما يذكره الكاتب يسرى على الكائنات التى تعيش على الأرض وتخضع لقوانينها.

وإذا كان الكاتب قدم مستشهداً قبل ذلك بقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ (صـ ٧٩)، وقول الإمام الأوزاعى (فقيه الشام الأعظم) (صـ ٧٧) وقال ما نصه: «فأرواح آل فرعون فى أجواف الطير» (صـ ٧٩) وشبيه ذلك ما جاء فى الخبر عن أرواح الشهداء وأنها فى أجواف طير خضر فى الجنة.

فهذا الطير الذى يحمل الأرواح. سواء كانت أرواح المثابين أم أرواح المعاقبين صور للجزاء، وما كان كذلك لا يحكمه قانون الدنيا.

وإذا كان الله ـ تعالى ـ غير السنن المعتادة فخرجت الروح من جسدها، وصارت فى طيور فى الجنة بالنسبة للشهداء، وفى النار بالنسبة للأشقياء أيعجز خالق هذا الخلق ومجرى هذه السنن عن إبقاء حياة هذه الطيور؟

يقول الكاتب: «سألت عائشة ـ رضى الله عنها ـ رسول الله ﷺ قالت: هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟، وعم ذاك» (ص ـ ٨٠).

وإنى أسأل الكاتب: لقد أنكرت كل الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ فى الموضوع، مهما بلغت صحتها، وقد بلغت درجة التواتر المعنوى، وهو يفيد القطع، فهى قطعية الثبوت والدلالة، فلماذا اعتددت بهذا الحديث بالذات؟!، ألأنه يؤيد وجهتك في ظاهر الأمر؟! فاعترافك بهذا الحديث يلزمك الاعتراف بكل الأحاديث فى درجته من الصحة فى الموضوع نفسه.

ويبقى بعد ذلك الاحتكام إلى قاعدة التعارض والترجيح التى قررها علماء أصول الفقه، التى تثير إعجابك، وتعترف بالاحتكام إليها (عذاب القبر إفك وضلال مبين صـ ٦٧).

وبتطبيق هذه القاعدة يمكن الجمع بين نصوص السنة نفسها.

ودعنا الآن مما يفهم من الآية ـ فالنبى ﷺ لما أجاب عائشة ـ رضى الله عنها ـ بالإنكار لم يكن يوحى إليه بشأن عذاب القبر وفتنته للأمة، خاصة أن اليهودية أخبرت السيدة عائشة بقوله أنكم (أى أمة الإسلام تفتنون فى قبوركم، فلما أوحى إليه بهذا الشأن أخبر وبلغ.

يقول الكاتب: «هل يقبل مسلم أن يقال: إن رسول الله ﷺ ظل لا يعرف عن عذاب القبر شيئًا لمدة خمس عشرة سنة من مبعثه ـ عليه السلاة ـ حتى تأتى يهودية فتخبر عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن عذاب القبر؟» (صـ ٨٠).

والجواب:

أن عذاب القبر تابع للجزاء الأخروى، ومقدمة من مقدماته، والمؤمن بالآخرة، وبالمعاد والبعث بعد الموت لا يستبعد عذاب القبر، والمنكر

للآخرة هو لعذاب القبر أشد إنكاراً، والنبي ﷺ انتظر الوحي، في هذا الأمر، فعذاب القبر أشبه ما يكون بالأمر بالتفصيلي المندرج في الأمر العام وهو الجزاء الأخروي، فهو كبقية تفاصيل اليوم الآخر، بعد البلاغ عنه إجمالاً، يأتيه من تفاصيل اليوم الآخر على التوالي فيبلغ ما أوحي إليه به، والسيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تكن اليهودية مصدر إيمانها بعذاب القبر، بل سألت النبي ﷺ ليكون النبي ﷺ مصدر معرفتها وإيمانها.

يقول الكاتب: «إن الدفاع عن الأحاديث الموضوعة والمدسوسة إساءة بالغة إلى الأحاديث النبوية الشريفةوالسنةالمطهرة» (صـ ٨٠).

والكاتب صادق فيما يقول، لكن أحاديث عذاب القبر، والاستعاذة منه، وسؤال الملكين بلغت مبلغ التواتر. والمنهج الذي استخدمه الكاتب في إنكارها ليس صحيحًا، فهو ينكرها لأنه لم يرد في القرآن الكريم شيء صريح عن عذاب القبر، ولأنه يحتكم إلى مجريات العادات، من تعطل الحياة وما تحمله من إدراك وحس وتعقل تنتهي بالموت. وقد سبقت مناقشته في هذا المنهج.

يقول الكاتب: «إن عودة الروح إلى الجسد وهو في القبر عقيدة عند قدماء المصريين، وأخذها اليهود عنهم لأنهم تربوا بين ظهرانيهم»(صـ٨٠).

ونقول للكاتب: ومن يدريك، لعل عقيدة المصريين في حياة الإنسان بعد موته، وعودة روحه إلى جسده من بقايا الوحي الإلهي إلى رسل الله في غابر الأزمان، وإن شابها من الخرافة ما شابها.

والمعلوم أن شرائع الرسل تأتى لتصحح مـا انحرف من عقائد، على مر العصور.

يستشهد الكاتب على مذهبه فى إنكار عذاب القبر بما جاء عن الشيخ الشعراوى وهو يتحدث عن «العرض على النار، كيف؟ يقول فضيلته: «ويحدثنا القرآن الكريم ... إنه فى ساعة الاحتضار يكون هناك ضرب وإيذاء من الملائكة للكافر الذى طعم خير الله ومنع شكره، والمعروف أن العذاب لا يكون إلا مع وجود الحياة، فأنت لا تستطيع أن تعذب جسداً ميتا ولكى يحس الجسد بالعذاب لابد أن تكون فيه روح، ولذلك فإن ما يحدث من الملائكة من ضرب وإيذاء إنما يحدث ساعة الاحتضار، وفى الجسد حياة « (صـ ٨١)، وينقله عن كتاب نهاية العالم ـ للشيخ الشعراوى ـ مكتبة الشعراوى الإسلامية العدد العاشر صـ ٦٥ إصدار دار أخبار اليوم صـ ٦٥.

ومن كتاب (معجزة القرآن للشيخ الشعراوى، العدد التاسع صـ ٥٥ إصدار دار أخبار اليوم يستشهد بقوله: «والمعروف أن أى نوع من العذاب لا يتم إلا مع وجود حياة فأنت لا تستطيع أن تعذب جسداً ميتًا، ولكن لكى يحس الجسد بالعذاب لا بد أن تكون فيه حياة أو روح أى أن ما يحدث من الملائكة من ضرب وإيذاء إنما يحدث ساعة الاحتضار، وفى الجسد حياة» (ص ـ ٨١، ٨٢).

والجواب: أن ما استشهد به الكاتب من كلام الشيخ من أن الجسد الميت لا يقبل أن يعذب يفرض عليه أن يعود إلى كلام الشيخ فى الموضوع برمته، وإن كان سيتخذ من كلام الشيخ حجة فها هو ذا

الشيخ يقول فى كتابه (الحياة والموت مكتبة الشعراوى الإسلامية، إصدار أخبار اليوم صـ ٥٦ ـ ٥٧ تحت عنوان: حياة البرزخ وهو يستدل بآية غافر على حياة البرزخ: «بقيت بعد ذلك حياة البرزخ أو حياة القبر، إن آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيًا خلال حياة القبر أو البرزخ، ولكن هل يخرج آل فرعون مرتين ليعرضوا على النار أم أنهم يعرضون عليها وهم فى قبورهم؟، لا أحد يستطيع أن يجزم بشيئ، إلا أن هناك نوعًا ما من العذاب يتعرض له فى قبره»

وتحت عنوان: «الحياة فى القبر» يقول: فى اللحظة (الاحتضار) تبدأ أول منازل الآخرة، لأن من مات قامت قيامته، وعرف آخرته، إنه حين يموت يسمع، لكن لا يستطيع الرد، ويرى لكن لا يستطيع أن يروى ما يراه، إن لهم إدراكًا كما للحى إدراك، لقول رسول الله ﷺ لنا: «إذا زرتم المقابر فسلموا على أهلها، وقولوا: السلام عليكم دار قوم مؤمنين» وما دام رسول الله ﷺ قد أمرنا بهذا فلا بدَّ أن هناك إدراكًا ما عند أهل المقابر لهذه التحية، وإلا لما أمرنا بها رسول الله ﷺ، إذا هناك إدراك ما لسكان القبور بالنسبة لزائريهم وتحيتهم لهم».

والشيخ إذا تحدث عن حال المحتضر، وما تفعله الملائكة بالكفار إذا حضرهم الموت مما نقله الكاتب عنه فإنما يتحدث عن قوانين الدنيا. التى ما زال الكافر يعيشها فى لحظاته الأخيرة، فالموت كما يقول الشيخ، انتقال من قوانين إلى قوانين أخرى «من كتاب (الحياة والموت صـ ٥٣)

رده على الفخر الرازى:

يقول الكاتب فى الرد على استدلال الفخر الرازى الذى حكاه عن

أهل السنة بالآية: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشيًا﴾ لإثبات عذاب القبر: إذا قلنا: إن عرض الكافرين على النار يتم يوم القيامة بنص القرآن الكريم وأن الكافرين يشملوا (كذا، والصواب: يشملون) آل فرعون أيضًا حيث لا استثناء في ذلك، فيضبح بذلك هناك تعارض وتناقض بين وواضح بين القولين، وحاشا لله أن يكون في كتابه الكريم تعارض أو تناقض، وتعالى الله علواً كبيراً» (صـ ٨٥).

ويبدو أن الكاتب لم يفهم معنى التعارض والتناقض، فالتعارض عدم الجمع بين أمرين، والتناقض ـ كما هو معلوم منطقيًا ـ إثبات الشيء ونفيه، من هنا كان الجمع بين النقيضين من المستحيلات العقلية، وهو أن يجتمع الإثبات والنفي في آن واحد وفي مكان واحد، وعلى شيء واحد، فأي تعارض أو تناقض إذا ثبت عرض الكافرين على النار في البرزخ بدليل، وثبت بدليل آخر عرضهم على النار يوم القيامة؟!، إن التعارض أو التناقض يتم لو كان هناك أدلة تنفي عذاب القبر في البرزخ وأدلة تثبته، ولو كان كذلك لكان في إثباته ونفيه تناقض وتعارض يجب تنزيه كلام الله تعالى عنه، أما أن تثبت الأدلة أكثر من موقف للعرض فذلك ما لا تعارض ولا تناقض فيه، وهو أشبه بتعدد المواقف يوم القيامة نفسه.

تفسير القرآن بالقرآن:

يتحدث الكاتب تحت هذا العنوان عن قاعدة تفسير القرآن بالقرآن، وينقل أقوال العلماء في شرحها، (صـ ٩١ ـ ٩٣) ليقوم بتطبيقها على آيات العرض على النار، والتي من بينها آية غافر، فيقول: «وتطبيقاً لهذا القول الحكيم الرائع فقد قمت بجمع ما تكرر منه في موضوع

العرض على النار، ثم بعدها يحمل المطلق على المقيد، (صـ ٩٣) ويذكر الآيات ليخرج بنتيجته التى وضعها تحت عنوان «حمل المطلق على المقيد»، وقال فيها: «واضح من الآيات المذكورة أن جميعها مقيد بزمن يوم القيامة، ما عدا الآية رقم ٤٦ غافر، وبذلك تحمل هذه الآية على المقيد، وهى جميع الآيات المذكورة الأخرى» (صـ ٩٦).

ونقول للكاتب: إن آية غافر مقيدة بزمن كبقية الآيات التى ذكرها، فإذا كانت الآيات قيدت بيوم القيامة فإن آية غافر قيدت بزمن «غدواً وعشيًا»، وحددت بقية الآية، وهو من تفسير القرآن بالقرآن وهو المنهج الذى استخدمه ـ المراد من هذا الزمن عندما عطفت عذابهم يوم تقوم الساعة على عرضهم غدواً وعشيًا، ولو كان العرض يوم القيامة فى الآية لقال: يوم تقوم الساعة يعرضون على النار ويقال ادخلوا آل فرعون أشد العذاب، ولكن الآية حددت درجتين من العذاب سوء العذاب وأشده.

فسوء العذاب بعرضهم على النار غدواً وعشيًا، وأشد العذاب دخولهم النار يوم القيامة.

تفسير الآية ٩٣/ من سورة الأنعام:

تحت هذا العنوان: يذكر الكاتب الآية، وينقل أقوال المفسرين فيها باختصار، ويختار من المفسرين الإمام الطبرى، والفخر الرازى، والقرطبى، وابن كثير (صـ ٩٩ ـ ١٠١) والآية هى قوله تعالى: «ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما

كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾.

وتدور الأقوال التى نقلها عن المفسرين حول تعذيب الملائكة للظالمين، وتأنيبهم، والملائكة هم ملائكة الموت أو ملائكة العذاب، فى غمرات الموت، ويقال: إن هذا للكفار يوم القيامة، ويفهم من عرضه لهذه المعانى أنه يريد أن يقول: إن الملائكة تتولى تعذيب الكفار فى الاحتضار «فى غمرات الموت»، حيث روحه لم تفارق بعد جسده، أو فى يوم القيامة، ليؤيد ما ذهب إليه من أنه لا ملائكة تتولى سؤال أو عذاب فى القبر مما نطقت به الأخبار.

وما دام الكاتب يتبنى هذه الأقوال للمفسرين فإن هذا يلزمه بإثبات عذاب القبر الذى ينكره، ولكن إذا مضى فى فهم الآية بكل ألفاظها، لا أن يأخذ منها ما يؤيد زعمه، فظاهر الآية أنها تتحدث عن الكافر أثناء وفاته، كما قال ـ تعالى ـ فى موضع آخر: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾(٢). ومن تمام توبيخ الملائكة لهم وتعذيبهم قولهم لهم: «أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون.. وهذا يعنى أنه قد بدأ من اليوم العذاب، وهو يدل على الاستمرارية للعذاب حتى يدخلوا النار خالدين فيها أبدًا يوم القيامة، ولو كان العذاب سيجزونه يوم القيامة، لما قالت الملائكة لهم: اليوم وقد استدل ابن القيم بهذه الآية على عذاب القبر فقال: «ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: «اليوم تجزون» (الروح صـ ٧٥).

---

(١) سورة الأنفال الآية: رقم ٥٠.

(٢) سورة محمد الآية: رقم ٢٧.

تفسير الآية ١٠١/ من سورة التوبة:

تحت هذا العنوان ينقل الكاتب أقوال المفسرين في قوله ـ تعالى ـ عن المنافقين: «سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم».

ينقل الأقوال التى جاءت فى تفسير الطبرى، والفخر الرازى، والقرطبى، وابن كثير، والشعراوى.

وهذه الآراء تفسر العذاب مرتين الوارد فى الآية، بأنه عذاب الدنيا وعذاب القبر، وهو أرجح الآراء، وأكثر المفسرين على هذا القول، مع خلاف فى تحديد عذاب الدنيا، من قائل: الجوع، وقائل القتل، وقائل فضح نفاقهم، وقائل المصائب فى الأموال والأولاد.

وهناك آراء أخرى فى عذابهم مرتين، منها: أنهما الجوع والقتل، ومنها الخوف والقتل، ومنها المصائب فى الأموال والأولاد إلى غير ذلك من الأقوال التى نقلها الكاتب عن المفسرين (صـ ١٠٣ ـ ١١٢).

ثم يعقب على هذه الآراء بالمختار عنده، مطبقًا ـ من وجهة نظره تفسير القرآن بالقرآن، فبعد أن يذكر آية: «وممن حولكم من الأعراب...» يقول: «وواضح من الآية الكريمة أن الله يعذبهم فى الحياة الدنيا مرتين» صـ ١١٣.

مع أن الآية لم تنص على أن العذاب مرتان فى الحياة الدنيا، بل اكتفت بالقول: «سنعذبهم مرتين».

ثم يقول: «فى المرة الأولى يقول ـ تعالى ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا

أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[1]. ومثلها الآية ٨٥ من سورة التوبة.

وفى المرة الثانية يقول الله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ...﴾[2]. يذكرهما، ويذكر قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ..﴾[3]. الآيتان . لينتهى إلى نتيجة، وهى أن العذاب مرتين: الأولى يعذبهم الله بأموالهم وأولادهم، والثانية بالقتل، ثم يردون إلى عذاب عظيم صـ ١١٥، ويضيف للاستشهاد على ما يرى ذكر آية ٦ من سورة الفتح وهى قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ..﴾ والآية ٩ من سورة التحريم، وهى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾. الآية، يراجع صـ ١١٣ ـ ١١٥).

وواضح أنه يختار نوعين من أنواع العذاب الذى يحل بالمنافقين، ويتجاهل ما ذكر من أنواع أخرى للعذاب، وذكرها هو فى مواضع أخرى ليؤيد بها إنكار عذاب القبر.

فلماذا تجاهل هنا ما ذكره قبل ذلك من عذاب الملائكة للكفار، وقد قال الله ـ تعالى ـ: «والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون»؟، ألم يستدل بقوله ـ تعالى ـ : «اليوم تجزون عذاب الهون » بأن سؤال وعذاب الملائكة للكفار قبل الموت، وفى غمراته؟ أى عذاب الدنيا؟ فلماذا لم يذكره هنا ليكون مرة ثالثة؟ وهو

(١) سورة التوبة الآية رقم: ٥٥. (٢) النساء: ٨٨.

(٣) سورة الاحزاب الآية رقم: ٦٠، ٦١.

تطبيق للمنهج الذى ارتضاه، وهو تفسير القرآن بالقرآن، ثم لماذا جعل المصائب فى الأموال والأولاد مرة واحدة؟ أليست المصيبة فى الأموال مرة؟ والمصيبة فى الأولاد مرة ثانية؟ ثم إذا جئنا إلى واقع المنافقين فإنهم سيشعرون بمرارة الألم وعذاب الفقد عند كل مرة يخرج منهم مال، أو يصابون فى ولد، فتكون مصائب الأموال والأولاد مرات من العذاب، وليست مرة واحدة، ثم القتل الذى يذكره باعتباره العذاب الثانى هل شمل جميع المنافقين؟ ألم يكن الكثير منهم قد نجا من القتل؟ وهم ما نافقوا إلا هربًا من بذل النفس فى الجهاد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾(١).

وكل هذا يرجح أن المراد بالمرتين من العذاب النوعان منه، فكل ما يلاقونه فى الدنيا من العذاب مرة، وما يلاقونه فى حياة البرزخ نوع آخر، وهما قبل العذاب العظيم يوم القيامة» ثم يردون إلى عذاب عظيم».

وهو ما يرجحه الفخر الرازى بقوله: «والأولى أن يقال: مراتب الحياة ثلاثة: حياة الدنيا، وحياة القبر، وحياة القيامة، فقوله ـ تعالى ـ: «سنعذبهم مرتين» المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه، وعذاب القبر، وقوله ـ تعالى ـ: ثم يردون إلى عذاب عظيم «المراد منه العذاب فى الحياة الثالثة، وهى الحياة فى القيامة» (مفاتيح الغيب جـ ٨ صـ ١٤٩) ط دار الغد.

---

(١) سورة التوبة الآية ٤٥.

تفسير الآية ٢٧ إبراهيم:

تحت هذا العنوان يذكر الكاتب أقوال المفسرين فى قوله ـ تعالى ـ: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء».

وينقل عن تفسير الطبرى، والفخر الرازى، والقرطبى، وابن كثير (صـ ١١٧ ـ ١١٩).

والمفسرون يستدلون بالآية على ثبوت عذاب القبر، لورود الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وبقية الجماعة، من رواية البراء بن عازب وشعبة، ولفظ البخارى عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل فى القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، فذلك قوله: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة» كتاب التفسير باب ما جاء فى سورة إبراهيم جـ ٦ صـ ٩٩ط: الشعب.

وخلاف المفسرين يدور فى ما إذا كان التثبيت فى القبر هو المشار إليه فى الآية «فى الحياة الدنيا» على اعتبار أن تثبيت المؤمن فى قبره يكون فى زمان الدنيا وقبل الآخرة، أو فى الآخرة على اعتبار أن القبرأول منزل من منازل الآخرة.

وينقد الكاتب الحافظ ابن كثير بقوله: «لم يقدم العالم الجليل أى تفسير للآية، وإنما اكتفى بأن أورد ثلاث عشرة صفحة كاملة من المقطع الكبير تعادل فى مجموعها نصف كتابى هذا، وتحتوى جميع الصفحات على عدد كبير من الأحاديث معظمها ضعيف ومشكوك

فى صحتها فى حين أن ظاهر النص واضح، ولا يحتاج إلى تأويل، وهل يجوز للعلماء أن يفسروا كتاب الله بأحاديث ضعيفة مشكوك فى صحتها ؟! (صـ١١٩).

أما قوله: إن العالم الجليل لم يقدم أى تفسير للآية فهذا خطأ، فالحافظ ابن كثير يطبق منهجه الذى ذكره فى مقدمة تفسيره، فإنه يفسر القرآن بالقرآن أولاً، ثم يفسر القرآن بالسنة (مقدمة التفسير جـ ١ صـ٦)، فهو هنا يفسر القرآن بالسنة، وأى تفسير أولى من تفسير رسول الله ﷺ للآية كما ورد فى الصحاح؟

وإذا سلمنا للكاتب أن بعض الأحاديث أو معظمها ـ كما يقول ـ ضعيفة، فماذا يقول فى الأحاديث الصحيحة، بل أصح الصحيح ما اتفق عليه البخارى ومسلم، وهى تنص على تفسير الآية بعذاب القبر.

إن العلماء لم يفسروا الآية بالأحاديث الضعيفة والمشكوك فى صحتها ـ كما يزعم الكاتب ـ والأمر واضح كل الوضوح هنا.

ملاحظة:

لم تصل الصفحات التى ذكر فيها ابن كثير الأحاديث التى تفسر الآية إلى ثلاث عشرة صفحة كما يذكر الكاتب، وإنما هى ست صفحات إلا أربعة سطور (انظر الجزء الثانى من صـ٤٥٩ إلى ٤٦٥ ط دار القلم بيروت)

يقول الكاتب: «ظاهر النص واضح، لا يحتاج إلى تأويل»

وأنت ترى أن المفسرين هنا ـ وخاصة ابن كثير ـ لم يؤولوا الآية، وإنما اتبعوا منهج التفسير بالمأثور.

فما وضوح النص عند الكاتب؟

يقول: «إن العلماء بهذا التفسير المحدود النظر ـ يضيعون على الناس جمال المثل الذى ضربه الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾(١). (ص:١٢٠).

إن التفسير الذى يصفه بأنه محدود النظر هو ما ثبت عن رسول الله ﷺ فى صحاح السنة، وهو لا يضيع على الناس جمال المثل الذى ضربه الله ـ تعالى ـ كما يزعم.

فهذا المثل الذى ضربه الله ـ تعالى ـ للكلمة الطيبة وأنها كلما رسخت بجذورها فى قلب المؤمن كلما تفرعت أغصانها وأورقت وأثمرت وآتت أكلها كل حين بإذن ربهاكالشجرة الطيبة ـ هذه الكلمة الطيبة وما أثمرت من تثبيت الله ـ تعالى ـ الذين آمنوا فى الحياة الدنيا، كما قال ـ تعالى ـ «بإذن ربها» ثم الجزاء فى الآخرة، فهل ضاع جمال المثل

(١) سورة إبراهيم الآية رقم: ٢٤ ـ ٢٧.

على هذا الوجه من الفهم؟ أم اتضح جماله للمتذوقين؟

تفسير الآية ١٢٤ طه

تحت هذا العنوان ينقل الكاتب أقوال المفسرين حول قوله تعالى: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى» ويرجع إلى تفسير الطبرى، والفخر الرازى، والقرطبى، وابن كثير (١٢١ـ١٢٨).

وخلاف المفسرين فى تحديد المعيشة الضنك التى جاءت فى الآية، أهى فى الحياة الدنيا أم فى القبر؟، وإن كان المفسرون يتفقون على أنها قبل يوم القيامة لقوله ـ تعالى ـ بعدها: «ونحشره يوم القيامة أعمى...» وكلّ من المعنيين له ما يرجحه، ولا قاطع بواحد منهما.

والحديث الذى أسنده الطبرى عن أبى هريرة مرفوعًا إلى النبى ﷺ قال عنه ابن كثير: إن رفعه منكر جدًا، وليس وحده دليل ترجيح لتحديد المعيشة الضنك بعذاب القبر، بل إن أدلة عذاب القبر فى الكتاب والسنة كلها يمكن أن تكون دليل ترجيح لهذا التحديد.

ويكفى ـ مرجحا لهذا التحديد ـ أن ينقل عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم: أبو سعيد الخدرى، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة ـ رضى الله عنهم ـ، ومعلوم ـ أصوليًا ـ أن قول الصحابى فى الأمور الاعتقادية والتعبدية «لا يكون اجتهادًا واستنتاجًا، وإنما استناد إلى ما علمه من رسول الله ﷺ.

وعلى كل حال، فإن لم تدل هذه الآية على عذاب القبر فعدم دلالتها عليه لا ينفيه فقد ثبت بأدلة أخرى قطعية الثبوت قطعية الدلالة،

ووجود أحاديث ضعيفة فى الموضوع أو موضوعة لا ينفيه، فقد وجد فى كل باب من أبواب العقيدة والعبادة من هذا النوع من الأحاديث، ولم تكن سببًا فى الإثبات ولا فى النفى.

تفسير الآية ١٠٠ المؤمنون:

تحت هذا العنوان ينقل الكاتب أقوال المفسرين: الطبرى، والفخر الرازى، والقرطبى، وابن كثير، فى تفسير قوله ـ تعالى ـ: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» ويعقب عليها (صـ ١٢٩ ـ ١٣٢).

وأقوال العلماء فى تحديد البرزخ ليست متناقضة أو مختلفة، وإنما هى تعبر عن شىء واحد، وهو ما أجمله الجوهرى بقوله: «البرزخ ما بين الدنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل فى البرزخ» ودخول الإنسان هذه المرحلة بعد انقضاء مرحلة الحياة الدنيا يعنى عدم العودة إلى الدنيا مرة أخرى، وهو ما عبرت عنه الآية فى رد المولى ـ تعالى ـ على الكفار: «كلا» ثم قوله ـ تعالى ـ: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» فهى مرحلة فاصلة بين الدنيا والآخرة مانعة من العودة مرة أخرى إلى الدنيا، فإذا اتضحت النصوص الصحيحة الصريحة التى تبين حال الإنسان، مؤمنا أو كافرا طائعا أو عاصيا فى هذه المرحلة «البرزخ» فقد ثبت يقينا أن بالبرزخ حياة، وأن بها نوعا من العذاب لأهل الكفر ، ونوعًا من الثواب لأهل الطاعة.

وفى تعقيبه لم يذكر أكثر مما نبه إليه من احتواء تفسير ابن كثير على كثير من الأحاديث الضعيفة ـ وخاصة فى موضوع عذاب القبر، وتوجهه ـ من واجبه كمسلم ـ إلى فضيلة الإمام الأكبر بطلب تشكيل

لجنة من كبار العلماء تقوم بتنقية هذا التفسير العظيم مما لحقه من أقوال تتنافى مع القرآن والسنة والعلم والعقل.

وأقول له: شكر الله لك نصحك، وهذه جهود يقوم بها الدارسون والمتخصصون فى المؤسسات الإسلامية المختلفة، بقيت المشكلة فى نشرها، وإخراجها إلى النور، لكن السؤال: هل أنت أيها الكاتب الغيور مستعد لأن تصغى وتتقبل أحكام اللجان المتخصصة من العلماء، وهذا الذى نقدمه صورة مما تطلب.

أما قوله: «فعذاب القبر أمر غير وارد فى دين الله، قام بدسه على الدين الزنادقة وأعداء الدين من أصحاب الديانات التى قضى عليها الإسلام، وبعض أهل الكتاب الذين يضمرون الحقد على دين الإسلام» صـ ١٣٢.

فهذا كلام غير صحيح، فعذاب القبر ثابت بالقرآن والسنة، وإجماع السلف قبل ظهور المخالف، ولا دليل للمنكرين إلا مجرد الاستبعاد فقط، وكبار العلماء الذين يطلب منهم تنقية كتب التراث يجمعون على ثبوت عذاب القبر.

تفسير الآية ٢١ السجدة:

تحت هذا العنوان يذكر الكاتب أقوال المفسرين وهم الطبرى، والرازى، والقرطبى، وابن كثير فى قوله ـ تعالى ـ: «ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون» ومعنى العذاب الأدنى عند بعض المفسرين ما يصيب الكفار من مصائب الدنيا، وبعضهم يرى أنه عذاب القبر.

لكن الكاتب يقـول: «عجبت لمن قـال: العذاب الأدنى هو عـذاب القبر، فكيف القول» لعلهم يرجعون»؟!!.. وهى (لعل)هنا تأتى بمعنى لكى، ويكون معنى لعلهم يرجعـون أى لكى يرجع الذين فسقوا لأنهم لو استمروا فى فسقهم فإن مأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، ومن هنا نفهم قول الله ـ تعالى ـ «ولنذيقنهم من العذاب الأدنى» لكى يرجعـوا قبل العـذاب الأكبر، وهو عـذاب النار يوم القيامة» صـ ١٣٤، ١٣٥.

وهذا هو المختار، ونوافقه عليه، لكن الله ـ تعالى ـ قال: «ولنذيقنهم من العـذاب الأدنى» ولـم يقل: ولنذيقنهـم العـذاب الأدنى»، و «من» للتبـعيض، فالله ـ تعـالى ـ يتوعدهم بأنه يذيقـهم بعض العذاب الأدنى فى الدنيا لعلهم يرجـعون عن كفرهم، ولم يذقـهم العذاب الأدنى كله فى الدنيا ليفسح المجال للعذاب فى القبر.

وبناء على هذا الـفهـم فهى تـدل على عـذاب الدنيـا، وتومىء إلى عذاب القـبر أيضًا، وهذا الفهم السـابق قد فهمـه ابن القيم وهو يروى استـدلال ابن عبـاس ـ رضى الله عنهما ـ بهـذه الآية على عذاب القـبر (الروح صـ ٧٦).

يقـول الكاتب فى خاتمة كـتابه: «بادىء ذى بدء فـإنى لا أهدف إلى مناقـشة وجـود عذاب الـقبـر من عدمـه، وإنما هدفى كـما ذكـرت فى المقدمـة أن أنقى من كـتاب الله ما ليـس منه، وعذاب القـبر لا يسـتحق الجدل، لأنه أمر هين، وذلك لأن من عـذب فى قبره فإن مصـيره جهنم وساءت مصيرا، وجهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون» صـ ١٣٧.

إذا كان الكاتب لم يهدف من كتابه إلى مناقشة وجود عذاب القبر من عدمه «فلماذا عنون كتابه بأنه» افتراء على الله ورسوله»؟ ولماذا أصر على أنه لا وجود له، وأنه مدسوس على الإسلام وعلى نبي الإسلام؟، ولماذا أكد على أنه مما دسه الزنادقة وأهل الكتاب بدافع الحقد على الإسلام؟، وإذا كان عذاب القبر أمراً هينًا لا يستحق الجدل فلماذا عاد مرة أخرى ليكتب فيه كتابًا لا يخرج فيه عما ذكر في هذا الكتاب؟

وهل قال مثبتو عذاب القبر أنه يفوق أو يلغى أو يتساوى مع عذاب جهنم؟

مناقشة الاستدلال بالآية ٢٥ من سورة نوح:

أما مناقشته للمستدل بالآية: «أغرقوا فأدخلوا نارا» فيقول فيها: «فهل الفاء تعنى عذاب القبر، وعذاب القبر يعنى دخول قوم نوح النار؟!، لأن دخولهم النار تم بعد غرقهم مباشرة ـ أى أن النار أحاطت بمن على الأرض جميعًا إلا من ركب مع نوح ـ عليه السلام ـ «هل يمكن لأحد أن يتصور أن يكون فى القرآن اختلاف وتفاوت وظلم؟!!» صـ ٥٨، ثم يقول :ـ «فأين المساواة والعدل فى توقيع العقاب على الكافرين؟!!، وأين عقاب باقى الكافرين والمشركين والمكذبين والمنافقين؟!!.

وكيف يدخل قوم نوح النار بعد غرقهم ويعرض قوم فرعون على النار فقط، فى حين أن الله أمر بإدخالهم أشد العذاب؟!! (صـ ٥٨).

يبدو أن الكاتب نسى نفسه وتجاهل حجمه أمام مولاه وخالقه، فعرف من تفاصيل الكون الواسع الذى لا ينحصر فى الأرض، ومن كيفية الموت والحياة ما يجعله يتصور هذا التصور الضيق المحدود للكون والأحياء فلم يردعه حياء من أن يتطاول فيجعل من تصوره المحدود الواهم حكما على خلق الله وأحكامه ـ تعالى ـ فى خلقه.

هل نسى الكاتب أن قصة العذاب لم تنته بدخول أو لئك النار وبعرض هؤلاء عليها؟، هل نسى الكاتب أن العرض فى حد ذاته نوع من العذاب؟، فالله ـ تعالى ـ يقول: «وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها» فكان قوله ـ تعالى ـ: «النار يعرضون...» بدلاً من قوله: «سوء العذاب» فكان سوء العذاب، وليس عذابًا فقط، وقبل ذلك كله هل أحاط الكاتب علمًا بأحوال قوم نوح وقوم فرعون، بل بالمشركين والكافرين قاطبة من أول الخليقة إلى آخرهم حتى يُنَصِّب نفسه حكمًا عليهم، ويكون وصيًا عليهم فى مطالبة الحكم العدل ـ تعالى ـ بالعدل والمساواة؟!!.

يوم أن يحيط بكل شىء علمًا يأتى لِيُنَصِّب نفسه حكمًا، متسائلاً عن العدل والمساواة، وصدق الله ـ تعالى ـ: «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»[1].

وواضح من الكاتب أنه عندما يريد أن يؤيد ما يصر على ادعائه ينسى حتى ما قرره وأقر به فى مواضع أخرى، وقد ذكر فى أكثر من موضع تعذيب الكفار من قبل الملائكة ساعة الاحتضار، كما ورد فى الآيات، وتعذيب الكفار والمنافقين فى الدنيا بألوان من العذاب الدنيوى.

(١) الأنبياء: ٢٣.

أما حـديثه عن معانى الفـاء، وقوله بعد ذلك: «وأنا أقـول: إن الفاء (أى فى قوله ـ تـعالى ـ: أغرقـوا فأدخلوا نارا» إن لم تكن للـسببـيـة أو للجزاء أو بمعنى ثم فلا مانع أن تكون للعطف والتعقيب».

ويفسر ذلك أن بعد الموت عدمـا، وأن الأموات لا يشعرون بالزمن، وأنه لا شيء بعد المـوت إلا البعث، يقول ـ تعـالى ـ فى كتـابه العزيز: ﴿قالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ...﴾[1]. ويقول ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ...﴾[2]. ثم يقول: «وكـأنه (أى المستدل) لم يسمع قـول الله تعالى:﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلى ربهم ينسلون..﴾[3].

ثم يقـول: «أفلا يتـدبرون القـرآن ؟؟!! إن الله يقول: «فـإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» فهم من الأجداث ينسلون وليس من النار التى دخلهـا قـوم نوح ـ فى زعمـه ـ ولا من العـرض على النار غـدوا وعـشـيـا التى يعـرض عليـها قـوم فـرعـون ولا فى حـواصل الطيـر» (صـ٥٨ـ٦٠).

فكيف يعترف أن الـفاء فى الآية للترتيب مع التعـقيب وليست لأى معنى من المعانى ثم يلجأإلى تفسير الآية بآيات أخرى، إن الآية فى هذه الحالة لا تحتـاج إلى تفسير من آية أخرى، لأنه فـسرت نفسها بنفـسها، وإلا فتفسـيرها بما فسرها بها من الآيات الأخرى نفى لما أثبـته واعترف

---

(١) سورة المؤمنون الآية رقم: ١١٣.

(٢) سورة الروم الآية رقم: ٥٥.

(٣) سورة يس الآية رقم: ٥١ .

به من كـون الفاء للترتيب والتـعقـيب، إن هذا إذا أراد تطبيق قواعـد أصول الفقه التي ينادى بتطبيـقها يسمى طريق دلالة النص بما يفهم من عبارته.

أما تفسيره الموت بأنه عدم فإنه تفسير الملاحـدة ومنكرى البعث أما الاعتقاد الصحيح فإن الموت مـفارقة الروح للجسد، وليس عدمًا، والله ـ تعالى ـ يقـول: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وإذا كان الأموات لا يشعرون بالزمن، ويبعثون يوم القيامة على حالتهم التى ماتوا عليها، ولهذا يقـولون: لبثنا يوما أو بعض يوم، فإن هذا لا يعنى أنهم لا يشعرون مـطلقا، وإن كان الموتى لا تسرى عليهـم قوانين الدنيا إلا ما شاء الله أن يوصل إليهم فيسمعهم ما أراد الله أن يسمعهم إياه ويشعرهم بما يريد أن يشعرهم به، فهو الذى خلقـهم لا يعجزه شيء من أمرهم، وما قول الكاتب فى قـوله تعالى: «واستمـع يوم ينادى المنادى من مكان قريب يوم يسمعـون الصيحة بالحق ذلك يـوم الخروج» (ق: ٤١. ٤٢)؟ فإن هذه النفخـة هى الثانية التى تبـعث الناس من رقادهم من مـوتهم، بدليل قوله: «ذلك يوم الخروج» وكل من فـى السماوات والأرض مـيت ـ إلا من شاء الله ـ ومع ذلك يسـمعـون الصيـحة بـنص الآية، إنهم أموات ويسـمعـون الصيـحة، ألا تفـهم آية: «وما أنت بمسـمع من فى القبـور» ونظائرها على ضوء ما صرحت به هذه الآية من أنهم يسمعون؟

---

(١) الزمر: ٤٢.

إنكاره ثبوت عذاب القبر عن طريق السنة:

لا يعتد الكاتب بالأحاديث التى تثبت عذاب القبر مهما كانت درجة ثبوتها، ومهما تعددت طرق رواياتها، بزعم أن عذاب القبر أمر اعتقادي، لا يترك لرسول الله ﷺ، وإنما يأتى فى القرآن، وبما أنه لم يأت فى القرآن ـ لا تصريحًا ولا تلميحًا ـ كما يقول ـ فلا ثبوت له إطلاقًا، وما نسب إلى النبى ﷺ فهو مدسوس عليه.

وبتطبيق قواعد أصول الفقه التى يدعو إلى تطبيقها يتبين أن ما جاء عن النبى ﷺ منه ما هو ثابت بالتواتر، والتواتر منه ما هو لفظى، ومنه ما هو معنوى، ومنه ما ثبت عن طريق الآحاد، وكل من القسمين منه ما هو قطعي الدلالة ومنه ما هو ظني الدلالة، وما كان متواترًا من سنة رسول الله ﷺ فهو قطعي الثبوت ويفيد العلم اليقيني (الوجيز فى أصول الفقه د. عبد الكريم زيدان صـ ١٦٩، ط ١٩٨٧م، وأصول الفقه لعبد الوهاب خلاف صـ ٤٣).

وعند علماء التوحيد الخبر المتواتر يفيد العلم بلا تفرقة بين القرآن والسنة (أصول الدين لأبى منصور البغدادى صـ١١ ط بيروت ١٣٤٦هـ) وشرح العقائد النسفية للتفتازانى ١/ ٥١)

إنكاره الإجماع على ثبوت عذاب القبر:

يقول الكاتب: «وإجماع الأمة قول ينافى الحقيقة، وإنكار عذاب القبر موجود فى كثير من الكتب، وإن علماء الأمة لا يجمعون على باطل» (صـ ٥٦ كتاب: عذاب القبر إفك وضلال مبين).

ونحتكم إلى علم أصول الفقه الذى يطالب بتطبيق قواعده.

فالإجماع عند الأصوليين هو: «اتفاق المجتهدين من هذه الأمة فى عصر من العصور على أمر من الأمور» (كشف الأسرار للإمام علاء الدين البخارى ٣/ ٢٧) ط بيروت ١٣٩٤هـ) وعلم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٤٧.

وعذاب القبر ونعيمه أجمع عليه خير القرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم وكفى بإجماعهم إجماعًا، قال الإيجى فى المواقف ٨/ ٣٤٥ مع شرحه): «اتفق عليه السلف قبل ظهور المخالف» ويذكر ابن القيم اتفاق أهل السنة عليه (الروح صـ ٥٧)، وهو كذلك عند جمهور المعتزلة، بل إن القاضى عبد الجبار يرى أن نسبة القول بإنكار عذاب القبر إلى المعتزلة من تشنيعات الخصوم عليهم، وينسب هذا القول إلى ضرار بن عمرو، وكان من المعتزلة، ثم التحق بالمجبرة (شرح الأصول الخمسة صـ ٧٣ ط ١/ ١٣٨٤).

وأخيرا فإن المناهج التى نادى بتطبيقها لو أحسن تطبيقها لما انتهى به الأمر إلى إنكار ما ثبت بمجمل القرآن وبيان سنة النبى ﷺ.

والله يهدينا إلى الحق..........

وهو حسبنا ونعم الوكيل

نتائج التقرير

يتضح من خلال عرض الكتابين، ومناقشة ما جاء فيهما ما يلى:

١ـ أن الدافع للكاتب إلى إثارته هذا الموضوع وتوصله إلى إنكار عذاب القبر هو ما يسمعه كثيراً من الوعاظ من تركيزهم على عذاب القبر، لا تذكيرهم بعذاب الآخرة، وربما استعانوا ببعض الأحاديث الضعيفة.

وما كان سوء التناول ـ على فرض ثبوته ـ، أو التزيد فى الحقيقة مبرراً لإنكارها جملة.

٢ـ أنه اعتمد على فهمه الشخصى لآيات القرآن الكريم، متجاهلا تفسير المفسرين.

٣ـ أنه اعتبر ذكر عذاب الآخرة فى القرآن الكريم نفيًا لعذاب القبر.

٤ـ أنه اعتمد على فهمه للموت بأنه توقف الحس والحركة والشعور، وفهمه للقبر بأنه مواراة الجسد فى التراب.

٥ـ أن ذكر القرآن الكريم لعذاب الآخرة لا ينفى عذاب القبر إذا ثبت فى نصوص أخرى من القرآن والسنة.

٦ـ أن عذاب القبر ثبت بالقرآن الكريم إجمالاً، وبالسنة تفصيلاً وبيانًا.

٧ـ أنه أنكر الإجماع على ثبوت عذاب القبر دون فهم للإجماع كما جاء فى كتب أصول الفقه.

٨ـ أن عذاب القبر أجمع عليه الصحابة والتابعون ـ رضى الله عنهم ولم يعرف عنهم مخالف

٩ـ أن الحياة بعد الموت تؤكدها آيات القرآن الكريم صراحة، كما جاء فى الآيات التى تتحدث عن الشهداء فى سورتى: البقرة وآل عمران.

١٠ـ أن آية البقرة عن الشهداء تؤكد أنا لا نشعر بحياتهم، مما يؤكد أن أحكامنا الدنيوية ليست قابلة التطبيق على ما بعد الموت.

١١ـ أن ما ادعاه الكاتب من أن ما جاء فى عذاب القبر مخالف للمعقول فلا يقع غير صحيح.

بل هو مخلف لما ألفه فى حياته المعتادة، ولو حكمنا على كل مالم نألفه بأنه غير معقول لا يقبل الوقوع لكذب كل من لم يألف شيئًا، فالسابقون لم يألفوا ما ظهر فى الأزمنة اللاحقة من مخترعات العلوم، كالطائرة وسفن الفضاء والمذياع والتلفاز وغيرها، ولكذب كل من فى بيئة ما لم يألفه فى الأخرى، فتكون النتيجة التكذيب بكل شيئ.

١٢ـ أن من يؤمن بالله ورسوله وبما جاء عنهما لا يوقِّف إيمانه على مألوف أو مدرك بالحس أو بالعقل، فما ثبت عن الله ـ تعالى ـ وعن رسوله ﷺ صدقنا به أدركته عقولنا أم لم تدركه.

المراجع

القرآن الكريم

ابن حزم الأندلسى

ـ الأصول والفروع، تحقيق د. محمد عاطف العراقى وآخرين، دار النهضة العربية، ط١: ١٩٧٨م.

ابن كثير

ـ تفسير القرآن العظيم، دار القلم، بيروت.

ابن قيم الجوزية.

ـ الروح، مكتبة المتنبى، القاهرة.

الإيجى.

ـ المواقف وشرحه للشريف الجرجانى، دار الكتب العلمية، بيروت.

البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفى).

ـ صحيح البخارى، مطابع دار الشعب، كتاب الشعب.

البخارى (علاء الدين عبد العزيز بن أحمد.

ـ كشف الأسرار، دار الكتاب العربى، بيروت.

البغدادى (أبو منصور عبد القاهر التميمى).

ـ كتاب أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣: ١٤٠١هـ: ١٩٨١م.

التفتازانى (سعد الدين).

ـ شرح العقائد النسفية، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ١٣٢٩هـ.

الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود الخوارزمى).
- الكشاف، مصطفى الحلبى، القاهرة، ١٣٩٢هـ: ١٩٧٢م.
الشيخ الشعراوى.
- الحياة والموت، مكتبة الشعراوى الإسلامية، دار أخبار اليوم.
- معجزة القرآ، دار أخبار اليوم.
- نهاية العالم، مكتبة الشعراوى الإسلامية، العدد العاشر، دار أخبار اليوم.
عبد الكريم زيدان.
- الوجيز فى أصول الفقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م.
عبد الوهاب خلاف.
- علم أصول الفقه، ط ٤: ١٣٦٩هـ: ١٩٥٠م، القاهرة.
الفخر الرازى.
- معالم أصول الدين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- مفاتيح الغيب، دار الغد العربى، القاهرة.
القاسمى (محمد جمال الدين).
- تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل، دار إحياء الكتب العربية.
القاضى عبد الجبار.
- شرح الأصول الخمسة، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، طـ ١٣٨٤هـ: ١٩٦٥م..
القرطبى (أبو عبد الله محمد الأنصارى).
- تفسير القرطبى، دار الريان للتراث.
محمد رشيد رضا.
- تفسير المنار، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٠م.